المبحث الثاني

المناسبة بين حذف اللفظ والسياق اللغوي

للجملة في اللغة العربية أنماطاً تركيبية، وعناصر أساسية أو ما يطلق عليها النحاة عمد الكلام، وعناصرها الفرعية غير الأساسية أو ما يطلقون عليه الفضلات أو المكملات، فالكلام ينقسم إلى عمدة، لا يسوغ حذفها إلاّ بدليل، وإلى فضلة يسوغ حذفها لغير دليل، ولهذا يعد الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتبدوا مظاهرها واضحة في بعض اللغات أكثر من غيرها. ولعل «ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات؛ لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز»[1]. وقد يغري الحذف أحد عناصر الجملة في اللغة العربية، سواء العناصر الرئيسة أو غير الرئيسة، ولا يكون ذلك إلاّ بأحد الشروط التي يحددها النحاة[2] وذكرها السيوطي وهي عشرة منها: الإيجاز والاختصار والتفخيم والإعظام وشهرة المحذوف... الخ، ويعد الحذف أبلغ من الذكر، لاسيما إن كان راجع إلى سبب دلالي. قال ابن وهب: «وأمّا الحذف: فإنّ العرب تستعمله للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول، إذا كان المخاطب عاملاً بمرادها فيه»[3]، وأنّ أي لفظ علم من الكلام لدلالة باقية عليه فالأصل حذفه أي: لفظ استغني عنه بما ذكر فالأصل حذفه؛ لأنّ الكلام عبارة عن ثروة لدى الإنسان فلا ينبغي أن يبذرها. وينبغي أن يقتصر على قدر الحاجة من كلامه. والحذف

---

(١) ظاهرة الحذف: ٩.

(٢) ينظر: الإتقان: ١٧٤/٣ وما بعدها.

(٣) البرهان في وجوه البيان: ١٢١.

يكون إمّا إجباري، وإمّا اختياري يحتمل معه ذكر اللفظ وحذفه. قال الرماني: «والحذف أبلغ من الذكر؛ لأنّ الذكر يقتصر على وجه، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كلّ وجه من وجوه التعظيم لما تضمنه من التفخيم»[1].

ويقول الجرجاني: «فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن»[2].

وهنا سؤال يطرح نفسه هل الحذف يمكن أن يصح في كلّ موقع من المواقع؟ أو أنّه لابد من تقيد بمجموعة من الضوابط؟ الحقيقة أنّ الحذف هنا لابد أن يتنبه إلى أنّه لا يلجأ إليه إلاّ بتحقيق شرطين:

الأول: وجود قرينة تدل على المحذوف.

الثاني: وجود غرض بلاغي يحققه هذا الحذف.

ولذلك الحذف هو لون من قدرة المتكلم على صياغة الكلام صياغة منسجمة مع خلو هذا الكلام من بعض أجزائه وقدرة اختبار المتلقي على فهمه لهذا النص مع وجود شيء محذوف منه، لذلك سماه بعض علماء العربية هذا اللون أعني الحذف شجاعة العربية، بمعنى اللغة لغة شجاعة يحذف بعض أجزائها وتدل معنى فالرجل الشجاع الذي يمكن أن يتغلب على خصمه مع إنّه يخلو من بعض ما يعني لدى خصمه من عتاد، وهذه الشجاعة جاءت من وفاء الكلام بالمعنى المراد مع نقصه في ألفاظه.

ويقول المؤلفون هنا: إذا أريد إفادة السامع حكماً فأي لفظ يدل على معنى

---

(١) النكت: ١٠٦.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

فيه فالأصل ذكره، أنت تريد أن تعبر عن معنى فلابد أن تذكر هذا بلفظ يشير إليه، والمعنى الذي لا تذكر لفظه ربما لا يتحقق لك فهم السامع لهذا المعنى، لأنّ اللفظ المعبر ليس، وجوداً فإذا أمنت فهم السامع لهذا فيمكنك أن تحذف، ولذلك يقولون أي لفظ علم من الكلام لدلالة باقية عليه فالأصل حذفه[1].

فإذا قلت: من جاء؟

تقول: محمد.

لا داعي لأنّ تقول: جاء محمد.

أو الذي جاء محمد.

هنا محمد هذه هي جواب اقتران بصيغة السؤال: (من جاء؟). فليس هناك داعي، لأن تذكر (جاء محمد)؛ لأنّها مذكورة في صيغة السؤال والسؤال والجواب مقترنان، ولذلك هنا يصبح الحذف وإذا ذكرت فذكرك هنا يكون مخالفاً للأصل؛ لأنّ الحذف في مثل هذا متعين لماذا؟ لدلالة الكلام الذي سيق عليه[2].

وإذا تأملنا القرآن الحكيم نجد إنّه في كثير من الأحيان يؤثر حذف اللفظ على ذكره، خاصة إذا اقتضى المقام ذلك. وفيما يلي صور لحذف الألفاظ في القرآن وعلاقة هذا الحذف بالسياق اللغوي.

١- الحذف في الجملة الفعلية:

قد يحذف أحد عناصر الجملة الفعلية لتحقيق فائدة معينة يتطلبها السياق. قال الإمام العز: «والعرب ينظرون إلى مقصود الإفادة في هذا الباب

---

(١) ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٦٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٤٦٥-٤٦٦.

ونحوه، فإن كان المقصود نسبة الفعل إلى الفاعل اقتصروا عليه، فقالوا: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، والله يحيي ويميت؛ لأنّه ليس الغرض ذكر المعطي والممنوع والموصول والمقطوع والمحيا والممات، ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال، وإن كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل، كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[2]، ليس الغرض هنا ذكر الكابت ولا القاتل، إنّما الغرض في نسبة القتل والكبت إلى المذكورين، وإن تعرض الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3]، وقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾[4]»[5].

أ – حذف الفعل:

في النظم القرآني قد يقتضي المقام أو سياق الحال حذف الفعل من الجملة، ومن ذلك الحذف في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٥) الإشارة إلى الإيجاز: ١٧-١٨.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٤.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾[1].

والتقدير في هذه الآيات على حذف فعل القول[2]، أي: يقال لهم أليس هذا بالحق، أكفرتم بعد إيمانكم، ذوقوا مس سقر، على الترتيب، فحذف الفعل؛ لأنّها جميعاً سيقت تصويراً لأحوال الكافرين في هذه اليوم، إذ يعرضون على النار، فيرون أهوالها، ويسمعون زفيرها، ويذوقون ويلها.

قال البقاعي في تفسير آية الأحقاف: «فيسمعوا من تغيظها وزفيرها ويروا من لهيبها واضطرامها وسعيرها ما لو قدر أنّ أحداً يموت من ذلك لماتوا من معاينته وهائل رؤيته»[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[4] الخطاب فيها موجّه في ادعوا أنّه سبحانه اتخذ ولداً وهم اليهود والنصارى فجاء الخطاب مذكراً عليهم ذلك؛ لأنّه سبحانه منزّه عن ذلك فليس له ولد أو شريك في الملك، فهو الإله الواحد في السماء والأرض، فكان من المناسب أن تسلط الدلالة على تلك الصفة دون غيرها من القدرة على الخلق، فجاء لفظ الجلالة منفرداً دون الفعل إشارة إلى انفراده

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٢) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز: ١٢؛ والبحر المحيط: ٢٦/٣، ٦٣/٨-٦٨.

(٣) نظم الدرر: ١٤٥/٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨١-٨٥.

واستحقاقه للإلوهية وحده[1].

قال البقاعي: «ولم يصدقوا في جواب مثله بقولهم: (إذا سألتهم): (ليقولون الله) الذي له جميع صفات الكمال هو الذي خلق الكل ليس لمن يدعوه منه شيء، ولذلك سبب عنه قوله: فأنى أي: كيف ومن أي جهة بعد أن أثبتوا له الخلق والأمر يؤفكون أي: يقلبون عن وجوه الأمور إلى إقتفائها من قالب ما كائناً من كان، فيدعون أنّ له شريكاً تارة بالولدية، وتارة بغيرها، مع ما ركز في فطرهم ممّا ثبت به أنّه لا شريك له لأنّ له الخلق والأمر كلّه»[2].

ب- حذف الفاعل:

تكثر في النظم القرآني ظاهرة حذف الفاعل وبناء الفعل لغيره؛ استغناء عنه، نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[3].

قال البقاعي في هذه الآية: «فقال بانياً للمفعول؛ لأنّ المفزع مطلق التفتيح، ولأنَّ ذلك أدل على قدرة الفاعل وهو أنّ الأمور عليه»[4]. وكذلك قال البقاعي في تفسير قوله تعالى في آية التكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[5] قال: «ولما كان المهول مطلق تكويرها

---

(١) ينظر: المناسبة: ٣٠٤.

(٢) نظم الدرر: ٥٩/٧.

(٣) سورة النبأ، الآية: ١٨-٢٠.

(٤) نظم الدرر: ٣٠٠/٨.

(٥) سورة التكوير، الآية: ١-٦.

الدال على عظمة مكورها، بني للمفعول على طريقة كلام القادرين قوله: ﴿كُوِّرَتْ﴾ أي: لفت بأيسر أمره غير كلفة ما أصلاً»[1]. فكان الحذف في هذه المواضع أدل على المعنى ومناسباً لمقتضى الحال.

وتقول د. عائشة عبد الرحمن: «اطراد هذه الظاهرة في موقف البعث، والقيامة ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية وإجراءات الإعراب الشكلية، فبناء الفعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه»[2].

ج- حذف المفعول:

قد يحذف المفعول من الجملة في الأسلوب القرآني إذا لم يتعلق غرض الكلام به، أو كان ذكره يصرف الدلالة إلى غرض آخر لا يهدف إليه السياق. قال الجرجاني: «كلّ موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء، وأن تخبر بأنّ من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلاّ منه، أو لا يكون منه، فإنّ الفعل لا يعدى هناك؛ لأنّ تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى»[3] وقال أيضاً: «وهو أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم، إلاّ أنّه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه»[4].

ويقول الرازي: «والضابط: أنّه متى كانت العناية متوفرة على مجرد إثبات الفعل لا على أن يعلم المفعول، فالأولى أن يحذف المفعول»[5].

---

(١) نظم الدرر: ٨/٣٣٦.

(٢) الإعجاز البياني: ٢٤٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٥٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) نهاية الإيجاز: ٢٤٠.

ومما جاء في حذف المفعول ما نراه في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1] فحذف في هذه الآية مفعولان، أولهما مفعول الفعل (بلغ) والتقدير (ومن بلغه القرآن) كذا ذكر أبو حيان[2] والثاني مفعول الفعل (اشهد) والمعنى على حد قول الزمخشري قل لا أشهد شهادتكم[3]. والحذف في الآية إنّما حدث؛ اتفاقاً وحال القرآن، إذ لم يأتِ منذراً لقوم بأعينهم، بل جاء منذراً للعالمين في كلّ مكان وزمان، منذ بعثه الرسول إلى قيام الساعة، وهو ما يصرّح به القرآن نفسه ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4].

قال البقاعي: «وقد أمر نبيّه ﷺ أن يقول هذا الكلام، وأن ينذر بالقرآن كلّ ما بلغه، ولم يخص إنساً ولا جنّاً من أهل التكليف»[5] فغاب المفعول عن موضعه في الكلام؛ ليدل على التعميم وإطلاق الإبلاغ الذي يتفق وما جاء به القرآن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[6] فآثر التعبير القرآني حذف ضمير الخطاب من (قلى)، والأصل (قلاك).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) البحر المحيط: ٤/٩٦.

(٣) الكشاف: ٢/١١.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

(٥) نظم الدرر: ٢/٦٠٠.

(٦) سورة الضحى، الآية: ١-٣.

ذهب الفراء إلى أنّه جاء اكتفاءً بالكاف الأولى محافظة على رؤوس الآيات[1]، وذهب ابن الأنباري إلى أنّه للتخفيف[2] ويرجح عند الزمخشري إلى أنّه اختصار لفظي لظهور المحذوف[3]، وكذلك أرجعه أبو حيان إلى الاختصار إذ يعلم أنّه ضمير المخاطب وهو الرسول الكريم[4].

وقد يرد إثبات المفعول وحذفه في مقام واحد يأتي قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[5] فقال ﷻ: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ مثبتاً المفعول به (ضمير الغائبين) ثم حذفه عند تكرار الفعل نفسه بعدها، فقال: (وأبصر). والسبب وراء هذا الحذف بعد الإثبات يرجع إلى أنّ المقصود بالحين الأول يوم بدر، قاله السدي، ورجّحه الطبري[6] وابن عطية[7] وفي ذلك الوقت كان للكافرين من قريش قوة تواجه المسلمين؛ بل كانت تفوق قوتهم؛ لذا أثبت ضميرهم هنا؛ ليقدر لهم الرسول قدرهم، ويعمل لك جهده على هزيمتهم. قال البقاعي: «وهذا الحين واضح في يوم بدر وما كان من أمثاله قبل الفتح، فإنّهم كان لهم في تلك الأوقات نوع من

---

(١) معاني القرآن: ٢٧٤/٣.

(٢) البيان في غريب: ٥٢٠/٢.

(٣) الكشاف: ٧٦٦/٤.

(٤) البحر المحيط: ٤٨١/٨.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٧٤-١٧٩.

(٦) جامع البيان: ٧٣/٢٣.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٤.

القوة؛ فلذلك أثبتهم نوع إثبات في (أبصرهم)»[1].

ويرى البقاعي أيضاً فيقول: «إنّ الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر، فلما تضمنت التشفي قيل (أبصرهم) وأمّا الثانية فالمراد بها يوم الفتح، واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم، فلم يكن وقتاً للتشفي به للبروز، فقيل له: (أبصر) والمعنى: فسيبصرون منك عليهم»[2].

٢- الحذف في الجملة الاسمية:

أ – حذف المبتدأ:

يحذف المبتدأ من الجملة، مع بقاء الخبر؛ اكتفاء بدلالة السياق عليه، ويكثر هذا في النظم الحكيم، وقد يعمد الأسلوب القرآني إلى حذف المبتدأ من الجملة الاسمية تحقيقاً لدلالة معينة يتطلبها السياق، من ذلك ما نراه في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾[3]، قال السمين الحلبي: «قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه الكلام تقديره: تقلّبهم أو تصرّفهم متاع قليل»[4].

وقال أبو السعود: «خبر المبتدأ محذوف أي: هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى»[5] وذكر هذا الرأي أكثر المفسرين[6].

---

(١) نظم الدرر: ٣٥٢/٦.

(٢) البرهان: ١٦٧/٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٧.

(٤) الدر المصون: ٢٩١/٢.

(٥) إرشاد العقل السليم: ١٣٥/٢.

(٦) ينظر: الكشاف: ٤٨٧/١؛ والبيان في إعراب القرآن: ٢٣٢/١، وغيرهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1]. والتقدير: هم صمٌّ بكمٌ عميٌ، فحذف الضمير الواقع موقع المبتدأ؛ لأنّ المقام يصور حال هؤلاء الكافرين؛ إذ يعرضون عن الهدى والحق، مشبهاً إياهم بتلك البهائم التي «لا تسمع إلاّ دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا نفقه شيئاً آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون»[2] فكان حالهم كحال البهائم لا يعون شيئاً ممّا يقال لهم صامتين عنه بعقولهم، قال ابن عطية: «فمعنى الآية أنّ هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحاً يسمعونه ولا يفقهونه؛ إذ لا ينتفعون بفقهه»[3].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ ﴾[4]، قال السمين الحلبي: «وقوله: (ولله) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أو ذلك لله»[5]، وهذا ما ذكره العكبري والنسفي وابن جزي وأبو حيان[6]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٢) الكشاف: ٢١٤/١.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٣٨/١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٥) الدر المصون: ١٧/٣.

(٦) ينظر: البيان في إعراب القرآن: ٤٨٣/١؛ ومدارك التنزيل: ٣١٥/١؛ والتسهيل: ٣٤٩/١؛ والبحر المحيط: ٨٦/٤.

تَعۡقِلُونَ﴾[1]، قال السيوطي: «حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أي: (هو رب)، (الله ربكم)، (الله رب المشرقين)، لأنّ موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً»[2].

ويعلق الزمخشري على الآية قائلاً: «وهذا السؤال لا يخلو: إمّا أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة، ليعرفه أنّه ليس لشيء ممّا شوهد وعرف من الأجرام والأعراض، وأنّه شيء مخالف لجميع الأشياء ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[3] وأمّا أن يريد به: أي شيء هو على الإطلاق، تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ما هي، فأجابه بأنّ الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته، استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك، وأمّا التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول، فتفتيش عمّا لا سبيل إليه، والسائل عنه متعنّت غير طالب للحق، والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام: أن يكون سؤاله هذا إنكاراً؛ لأنّ يكون للعالمين رب سواه؛ لادعائه الإلهية»[4].

ونلاحظ أنّ حذف المبتدأ في القرآن يكثر في جواب الاستفهام، كما في قوله ﷻ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[5]، فحذف المبتدأ في مثل هذا الموضع وترك موضعه، دون عنصر آخر يشغله

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٣-٢٨.

(٢) الإتقان: ١٧٢/٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) الكشاف: ٣٠٧/٣.

(٥) سورة القارعة، الآيات: ٩-١١.

يخلف من ورائه فراغاً يوحي بتلك الهوة التي يسقط فيها الكافرون في قاع جهنم، يقول الزمخشري: «وقيل: (هاوية) من أسماء النار، وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوىً بعيداً، كما روى (يهوى فيها سبعين خريفاً) أي: فمأواه النار. وقيل للمأوى: أمّ، على التشبيه؛ لأنّ الأم مأوى الولد ومفزعة. وعن قتادة: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾، أي: فأم رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنّه يطرح فيها منكوساً»[1].

ب- حذف الخبر:

قد يعمد الأسلوب القرآني إلى حذف الخبر والإبقاء على المبتدأ، وهذا الشكل من أشكال الحذف لا يكون إلاّ في مواضع قليلة، نحو قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[2]، والتقدير كما يذهب المفسرون ظلها دائم البقاء، والراحة لا ينسخ كما ينسخ بالشمس، ولا يميل ليبرد، كما في الدنيا، كذا قال الزمخشري[3] وأبو حيان[4] وهذا التقدير على أساس الخبر المذكور لـــ(أكلها) ولكن يحتمل أن يكون الخبر لفظاً آخر يمكن فهمه من السياق، ذلك أنّ لفظة (ظل) تستدعي من السياق المحيط بالآية عدة ألفاظ، يصلح كلّ منها للتوارد معها، مثل: دائم، ممتد، وارف... الخ.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ

---

(١) الكشاف: ٤/٧٩٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٣) الكشاف: ٢/٥٣٣.

(٤) البحر المحيط: ٥/٣٨٦.

﴿يَعۡمَلُونَ﴾[1] وفي تفسير هذه الآية ما يوضح لنا ذلك النعيم الذي لا تستطيع أن تصوره الألفاظ. فكان هذا الحذف للخبر بما يحدثه من ترك الخيال للعقل يتصور من النعيم ما يتصوره مناسباً أشد المناسبة لذلك المقام، الذي يضرب فيه المثل للجنة، إذ يعطي من التصوير البليغ والخيال الممتد ما لا تُعطه الألفاظ المذكورة بإيحاءاتها المحدودة القاصرة من تصوير الجنة تصويراً يتفق وواقع حالها[2].

٣- حذف عناصر مشتركة:

أ – حذف الصفة:

قد يعمد الأسلوب القرآني إلى حذف اللفظ الواقع صفة في بعض الأحيان، كما أشار السمين الحلبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[3] قال: «إنّ (ظنّاً) له صفة محذوفة تقديره: إلاّ ظنّاً بيّناً فهو مختص لا مؤكد»[4].

وقال أبو حيان: «فأمّا الآية، فتأوّل على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصّاً لا مؤكداً، وتقديره: إلاّ ظنّاً ضعيفاً...»[5].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[6]، والأصل فئة مؤمنة تقاتل

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) ينظر: من الإعجاز اللغوي: ٣٠٣-٣٠٤.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

(٤) الدر المصون: ١١٣/٦.

(٥) البحر المحيط: ٥١/٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

في سبيل الله، فحذفت الصفة لذكر لازمها، وهو القتال في سبيل الله ولدلالة لفظ (كافرة) عليها دلالة لزوم.

يقول أبو حيان: «أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان، فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية، ومن الثانية ما أثبت نظيره في الأولى، فذكر في الأولى لازم الإيمان وهو القتال في سبيل الله، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر»[1]. فلما دلّ السياق دلالة لزوم على المحذوف من الألفاظ كان ذكره من قبيل الزيادة التي يستغني عنها، فحسن الحذف.

قال ابن الأثير: «ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنّه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن»[2]. ولاشك أنّ ذكر ما حذف من هذه الآية لا يعطيها ما هي عليه من الحسن بعد الحذف.

ب- حذف الموصوف:

قد يحذف الموصوف ويُبقى على صفته الدالة عليه، لإثراء الدلالة وترك العقل والخيال يقدران من الموصوفات التي تنطبق عليها الصفة، ولقد وضع العلماء شروط في جواز حذف الموصوف فقد ذكر الزركشي أنّه يشترط فيه أمران:

١- كون الصفة خاصة بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

٢- أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلقها بغرض السياق[3].

---

(١) البحر المحيط: ٤١١/٢.

(٢) المثل السائر: ٧٧/٢.

(٣) ينظر: البرهان: ٧١٨؛ وبدائع الفوائد: ٢٧/٣.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1] فقوله ﷻ: ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ بذكر الصفة دون موصوفها. وقد اختلف العلماء في تقدير هذا الموصوف، فذهب الضحاك والكلبي إلى أنّ المقصود شهادة التوحيد[2]، وكذا ذهب الفراء[3] وذهب الزجاج إلى أنّ المقصود: للحالة التي أقوم، وهي توحيد الله أي، شهادة أن لا إله إلاّ الله والإيمان برسله والعمل بطاعته[4]. وقال مقاتل: للأوامر والنواهي[5]. وقال الزمخشري: للحالة التي هي أقوم وأسدها أو للملة أو للطريقة[6].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[7]، قال السمين الحلبي: «حذف الموصوف بالكوثر؛ لأنّ في حذفه من فرط الشياع والإبهام ما ليس في إثباته»[8].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[9].

قال السمين الحلبي: «قوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ أي: سفينة: قال

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) البحر المحيط: ٦/١١.

(٣) معاني القرآن: ٢/١١٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣/٢٢٩.

(٥) البحر المحيط: ٦/١١.

(٦) الكشاف: ٢/٦٥١.

(٧) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٨) الدر المصون: ٦/٥٧٨؛ وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/٥٢٥؛ والسراج المنير: ٤/٤٣٧.

(٩) سورة القمر، الآية: ١٣.

الزمخشري: وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابها، وتؤدي مؤدها بحيث لا يفصل بينها وبينها»[1].

ج- حذف المضاف:

لقد أوصل ابن جني -كما يذكر السيوطي- هذا الشكل من الحذف إلى ما يقرب من ألف موضع[2] من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]. قال السمين الحلبي: «و(كصيب) معطوف على (كمثل) فهو في محل رفع، ولابد من حذف مضافين، ليصبح المعنى، والتقدير: أو كمثل ذُوي صَيِّبٍ»[4].

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ﴾[5]. قال الإمام العز: «دلّ العقل فيه على الحذف؛ لأنّ اللوم على الأعيان لا يصح، وإنّما يلام الإنسان على كسبه وفعله، فيحتمل أن يكون المقدر لمتنني في حبه، لقولهن: (قد شغفها حبّا) ويحتمل أن يكون لمتنني في مراودته، لقولهن: تراود فتاها عن نفسه) ويحتمل أن يكون لمتنني في شأنه وأمره، فيدخل فيه المراودة والحب»[6].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾[7]. قال السمين الحلبي: «قال أبو البقاء: وفي الكلام حذف مضاف تقديره: طواف الصفا أو سعي

---

(١) الدر المصون: ٢٢٧/٦؛ وينظر: الكشاف: ٤٣٥/٤.

(٢) الإتقان: ١٨٤/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٤) الدر المصون، الآية: ١٣٥/١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

(٦) الإشارة إلى الإعجاز: ٥.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

الصفا»[1].

وما نراه في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمُ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[2].

لقد ذهب المفسرون مذاهب عديدة، تربط جميعها بين هذا الحذف وسياق الحال، فرأى الزجاج أنّه لم يذكر البرد هنا «لأنّ ما وقى من الحر وقى من البرد»[3]. وذهب الزمخشري إلى أنّه اكتفى بالمذكور «لأنّ الوقاية من الحر أهم عندهم، وقلما يهمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً»[4].

وقال ابن عطية: «ذكر وقاية الحر؛ إذ هو أمس في تلك البلاد، والبرد فيها معدوم في الأكثر، وإذا جاء في الشتوان فإنّما يتوقى بما هو أكثف من السربال المتقدم الذكر، فتبقى السرابيل لتوقى الحر فقط»[5].

د- حذف المضاف إليه:

هذا الحذف وهو حذف المضاف إليه يكون له مواضع محددة وقليلة في القرآن الكريم[6]. ويذكر السيوطي أنّه يكثر هذا الحذف في ياء المتكلم، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ﴾[7]، وفي الغايات، نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن

---

(١) الدر المصون: ٤١٤/١؛ وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٣٠/١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) معاني القرآن: ٢١٥/٣.

(٤) الكشاف: ٦٢٥/٢-٦٢٦.

(٥) المحرر الوجيز: ٤١٢/٣.

(٦) الدر المصون: ١٣٥/١.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥١.

﴿قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾[1] أي: قبل الغلب ومن بعده، وكذلك يحذف بعد ألفاظ (كلّ وبعض وأي) كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾[2] وفي غيرهن[3].

قال السمين الحلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: جمهور القراء على تنوين (كلّ) وتنوينه للعوض من المضاف إليه، والجار خبر مقدم، و(وجهة) مبتدأ مؤخر، واختلف في المضاف إليه كلّ المحذوف فقيل: تقديره: ولكل طائفة من أهل الأديان وقيل: ولكل أهل موضع من المسلمين وجهته إلى جهة الكعبة يميناً وشمالاً، ووراء وقدام»[4] وذكره أيضاً الزمخشري وأبو حيان[5].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[6]. والأصل وجوهكم، فحذف الضمير (كم) الواقع موقع المضاف إليه.

قال أبو حيان: «ثم ذكر هذا الوعيد البالغ، فحذف المضاف إليه من قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ والمعنى: وجوهكم، ثم عطف عليه قوله: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ فأتى بضمير الغيبة؛ لأنّ الخطاب حين كان الوعيد بطمس

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٣) الإتقان: ١٨٤/٣.

(٤) الدر المصون: ٤٠٥/١؛ وينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٥٢/١.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢٣١/١؛ والبحر المحيط: ٦١٠/١؛ وأنوار التنزيل: ٤٢٥/١.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٧.

الوجوه باللعنة ليس لهم ليبقي التأنيس والهم، والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب، ويصير أدعى إلى عدم القبول وهذا من جليل المخاطبة وبديع المجاورة»[1].

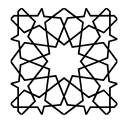

(١) البحر المحيط: ٢/٤١١.